تأملات في حوار التخاطب بين الذوات في القرآن الكريم

د/ وليد محمد عبد العزيز الحمد (*)

• المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرًا.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢).

إن الحوار بين الذات والذات الأخرى عبارة تحمل في مضمونها الشيء الكثير: تحمل معني الحياة والكون والخلق والإنسان والتعامل فيما بينه، والعقل والفكر والخير والشر والأشياء وأضدادها.

وهذا الحوار يعتبر بحق دائرة كبيرة لا نستطيع في هذا البحث المتواضع أن نتطرق له بشكل عام، بل لابد من أخذ مثل صغير يحمل في طياته المعنى الكبير من الحوار من خلال القرآن الكريم.

(*) الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية- كلية التربية الأساسية- الكويت.

يقول فضيلة الشيخ سيد قطب: «يا أيها الناس، المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا، والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل، وإنها ليست التناحر والخصام، وإنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحد به القيم، ويعرف به فضل الناس ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣).

ولو تأملنا كذلك هذا الحوار لوجدنا في مضمونه ما يربط بين الذات والأخرى، فالحوار مولده النطق، والنطق لا يظهر إلا في الحوار، والحوار أساسه الذات ولا يظهر إلا مع الآخر، فالعامل المشترك بين الذات والذات هو الحوار.

والحوار إما أن يكون إيجابا أو سلبا، وله صور كثيرة ؛ منها الإقناع والجدل والمناظرة والمكابرة والمخاصمة والمناقشة والاختلاف والكلام العام...إلخ.

ولقد حرص الإسلام على هذا الحوار بين الذات والذات وجعله فنا أو جعل هذا العلم علمًا يتعلمه الناس كما جعل له مهارات حياتية، لكي تستقيم حياتهم، ويحققوا خلافة الله سبحانه وتعالى في الأرض.

وذلك من خلال ما رسمه الله لنا في القرآن الكريم من قصص الأنبياء

وحواراتهم مع الله، وحواراتهم مع أقوامهم ولا نغفل سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فهي مليئة بالكثير من تلك القصص والحوارات. كما حرص القرآن كذلك على الجانب الأسري، والجانب الاجتماعي، والجانب الفكري الحضاري، والجانب الدعوي، فلم يترك ديننا الحنيف جانبا إلا ووضع فيه بصمة تكون نبراسا للمسلمين، وهو يحدد في الواقع أسلوب حياة المجتمع، كما يحدد سلوك أفراده ومدي ما بينهم من تبادل في هذين الجانبين..وعلي سبيل المثال:لدي ميلاد المجتمع الإسلامي كانت ثقافة هذا المجتمع جد متجانسة، متحدة الطابع عند الخليفة والبدوي البسيط، وهكذا يتجلي في موقف سيدنا عمر رضي الله عنه عندما خطب المسلمين غداة توليه الخلافة، فقال قولته المشهورة: «أيها الناس: من رأي منكم في اعوجاجًا فليقومه». وكان الرد علي هذه المقولة ما نطق به أحد أولئك البدو البسطاء قائلا :«والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا».

ويعقب مالك بن نبي علي هذا الحوار قائلاً:«هذا الحوار الفريد كان يطبع بطريقة رائعة أسلوب الحياة في مجتمع، تحدث فيه حركات الفكر والعواطف، ودوافع العمل، وفي كلمة واحدة: اتحد فيه شكل السلوك لدي الخليفة والبدوي البسيط، والواقع أن سيدنا عمر في قولته تلك كان متجهًا صوب المجتمع الإسلامي، وان الذي أجابه إنما هو ذلك المجتمع علي لسان البدوي....».

وهكذا نري بطريقة مباشرة العلاقة المتبادلة بين الجانب النفسي والجانب الاجتماعي متجسدة في رجلين، كان موقفهما انعكاسًا لأسلوب الحياة من ناحية، وتعبيرًا عن سلوك معين خاص بالمسلم في ذلك العصر من ناحية أخرى.

وفي الوقت ذاته يظهر هذا التشابه الحدود الروحية للمجتمع، حين يرسم داخل هذه الحدود معالم ثقافة محددة.

فالخليفة المسلم والراعي المسلم يتصفان بسلوك واحد لأن جذور شخصيتهما تغور في أرض واحدة، هي المجال الروحي للثقافة الإسلامية، القائمة علي القرآن والسنة(٤).

فالحوار في القرآن الكريم له صور كثيرة، وسأتطرق في هذه العجالة القصيرة إن شاء الله تعالى إلى طرف منها بالتفصيل ولكن قبل أن أسترسل في الموضوع أحببت أن أنوه عن شيء من خصائص الشريعة الإسلامية ليكون تمهيدًا لهذا الموضوع.

- **تمهيد في خصائص الشريعة الإسلامية:**

أولا: الربانية:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٥) لقد جعل الله تعالى أسمى غاياته وأرقى أهدافه هو حسن الصلة به سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته، وهذه هي الغاية الحقيقية للإنسان، والهدف البعيد له في هذه الحياة الدنيا ودوام الصلة بالله تعالى تكون بالذكر والدعاء والعبادة والخشوع والصيام والخوف وحسن الظن به عز وجل والحب والرضا والشكر.... وجميع ما ذكر إنما يمثل الجانب الرئيسي لمعنى الذات والآخر، والحوار هو العامل المشترك بينهما(٦).

ويؤدي هذا الحوار إلى معرفة الغاية الحقيقية من الوجود الإنساني والاهتداء إلى الفطرة وسلامة النفس من التمزق والصراع.

ثانيا: الشمول

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٧).

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة التعاليم: «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء»(٨).

ويقول الشيخ الشعراوي(٩): ونحن نتناقل الآن، ونروي بعض حوارات السالكين وأهل المعرفة وأصحاب الفيوضات الذين فَهِموا عن الله وتذوّقوا لذّة قُرْبه، وكانوا يتحاورون ويتنافسون لا للمباهاة والافتخار، وإنما للترقي في القرب من الله.

جلس اثنان من هؤلاء العارفين وفي فَمِ أحدهم نَخْمة يريد أنْ يبصقها، وبدتْ عليه الحيرة، وهو ينظر هنا وهناك فقال لَه صاحبه: أَلْقِها واسترح، فقال: كيف وكلما أردتُ أنْ أبصقها سمعت الأرض تُسبّح فاستحيْتُ أنْ أُلقيها على مُسبِّح، فقال الآخر - ويبدو أنه كان في منزلة أعلى منه - وقد افتعل البَصق وقال: مُسبّح في مُسبّح.

إذن: فأهل الكشف والعارفون بالله يدركون هذا التسبيح، ويعترفون به، وعلى قدر ما لديك من معرفة بالله تعالى، وما لديك من فَهْم وإدراك يكون تلقّيك وتقبُّلك لمثل هذه الأمور الإيمانية.

ومن مظاهر الشمول شمول القرآن فلقد اشتمل القرآن على كثير من الأمور التي لم يكن للعرب بها سابق معرفة من قبل، منها ما يتعلق بالتوحيد والتشريع والحلال والحرام والحقوق والواجبات والأنظمة والسياسة والأمور الاجتماعية والتربوية والنظام الاقتصادي... إلخ.

ومن خصائص شريعتنا التوسط والاعتدال والتوازن وجميعها تدخل في دوائر الحوار بين الذات والذات، كان هذا هو التمهيد الذي أحببت أن أشير إليه لنرى بعد ذلك الحوار في القرآن الكريم بين الذات والذات.

• المبحث الأول: تعريف الحوار لغة واصطلاحا، ومكانة العقل في الإسلام:

أولا: الحوار لغة:

هو مصدر حوْر وهو الرجوع عن الشيء والى الشيء(١٠)، وقيل بمعنى الرجوع وبمعنى الرد، وبمعنى الجواب وبمعنى النطق والمكالمة والمباحثة.

ثانيا: الحوار في الإصلاح «هو حديث يجري بين شخصين أو أكثر»(١١).

وقبل أن ندخل في صور القرآن الكريم للحوار لا بد من معرفة مكانة العقل في الدين واهتمام الشارع به لأنه المادة السليمة لتفاعلات الحوار السليم والايجابي، والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها الحوار والذي يؤدي إلى الأنماط الحياتية الصحيحة.

ثالثا: مكانة العقل في الإسلام(١٢):

لقد رفع القرآن الكريم من شأن العقل وأعلى من قدره ويعتبر الإشادة بالعقل من أوضح سمات هذا الدستور العظيم التي لفتت المتدبرين لآياته والناظرين في مضامينها، وتوجيه النظر إلى استخدامه الاستخدام الأمثل. فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تدعو إلى التحلي بالعقل والتمسك بأهدابه والسير في طريقه.

ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى في وضوح تام، وهو لا يذكر العقل «إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه.. ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة. بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته. فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ولا في العقل المدرك الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة»(١٣).

ومما يؤكد هذا الاهتمام القرآني بالعقل ورود مادة عقل في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة، كلها – كما يقول شيخنا القرضاوي(١٤)– جاءت بصيغة المضارع إلا واحدة، ففعل "تعقلون" تكرر ٢٤ مرة، وفعل "يعقلون" تكرر ٢٢ مرة، وفعل "عقل" و "نعقل" و"يعقل" جاء كل منها مرة واحدة.

ومن أبرز ما جاء هنا صيغة الاستفهام الإنكاري الدالة على التحريض والإلهاب، تلك الصيغة الملهبة المحرضة "أفلا تعقلون" وقد ذكرت في القرآن ثلاث عشرة مرة..

ومن أروع ما هدى إليه القرآن في جانب الفكر والعلم تنويهه بأولى الألباب وأولى النهي، أي أصحاب العقول، وإشادته بهم في مواضع شتى من سوره المكية والمدنية على سواء.. وقد وردت كلمة "أولو الألباب" أو "أولي

الألباب" في القرآن الكريم ست عشرة مرة(١٥)، وهي تدل بغاية الوضوح على عقلانية هذا القرآن وعقلانية رسالته.. هذا بالإضافة إلى ما جاء به القرآن عن أصحاب العقول تحت اسم "أولى النهي" وقد وردت هذه اللفظة في القرآن مرتين كلتاهما في سورة طه [٥٤، ١٢٨]، كما جاء الحديث عن العقل في القرآن باسم "الفؤاد" مفردا ومجموعا باعتباره وسيلة من وسائل العلم الأساسية الثلاث: السمع والبصر والفؤاد.. وقد تكرر ذكر السمع والأبصار والأفئدة في سور شتى، وكثيرا ما يذكر القلب بدل الفؤاد في مواضع عدة من كتاب الله تعالى كما قال الله تعالى "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"(١٦)(١٧).

أضف إلى ذلك دعوة القرآن في عشرات الآيات إلى التفكير والتأمل وحثه على النظر والتدبر للآيات المسطورة والمنظورة، في الأنفس والآفاق في جميع مجالات الوجود الكونية والنفسية مما يتعلق بعالم الشهادة. واستخدم في ذلك ألفاظا متنوعة وعبارات شتى: كالتعقل والنظر والتبصر والتدبر والتفكير وغيرها من العبارات التي تشير إلى ملكة التفكير لدى الإنسان، كما اعتمد القرآن الكريم الحوار والجدال البناء أسلوبا أصيلا في خطابه للناس، وأكثر من الدعوة إلى الحوار والجدال وطلب البرهان، وهي في حقيقتها دعوة لاستخدام العقل وتنشيطه ليقوم بوظيفته على الوجه الأكمل.

ويمكننا أن نقول إن دعوة القرآن للعقل بالنظر والتفكر والتعقل في الكون المنظور والكتاب المسطور تفيدنا في الآتي: -

١- الثقة التي ينبغي أن نوليها للحواس، بحيث تكون معطياتها دائما هي منطلق التفكير والتدبر.. فالسحب في السماء والفلك في البحر وثمرات النخيل، كل هذه وتلك إنما هي ظواهر مشاهدة ومعهودة.. وعاديات البشر

كالنوم والسعي لكسب الرزق، وعاديات الكون ومظاهره كالبرق والمطر، كل ذلك هو منطلق التفكير واسطة الوصول إلى النتيجة المنطقية وهي أن لهذا الكون منظما ومدبرا.. فالظاهرة العقلية هنا ظاهرة عقلية من جهتين: الأولى استدلالية وهي تعني الاستدلال بالمشاهد على ما وراء المشاهد وهو الله. والثانية سببية، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي هذا العالم بمعطياته التي نراها ارتباطا ضروريًا وعقليا بالسبب الأول الذي أدى إلى خلقه وهو الله تعالى(١٨).

٢- القرآن وهو يربط فعل العقل وعمله بالظواهر الكونية والطبيعية والإنسانية إنما يريد من الإنسان أن يمارس دوره الحقيقي عن طريق الفعل "يعقل"، أي أن يسلط أضواء ذلك المصباح الكاشف في داخل نفسه على أشياء الطبيعة وعلى أشياء الإنسان، وأن يكون ذلك بكل ما يملكه من أدوات الكشف والمعرفة بحسه، ببصره، بسمعه.. بل ببصيرته النافذة لكي يدرك أسرار الكون والقوانين العلوية التي تقف وراء نظام الطبيعة المدهش والنواميس التي تحكم حياة الإنسان ووجوده(١٩).

٣- إن العقل غريزة طبع الله الإنسان العاقل عليها، ليعرف فيؤمن، ويؤمن فيعمل، لذلك فإن العقل القرآني لم يعد عقلا يونانيا- فلسفيا- مجردا، أو جوهرا قائما بذاته، وإنما أصبح ظاهرة إلهية في الإنسان جعلها الله تعالى فيه ليعقل بها في حدود رسمها الله تعالى له، ونبهه إليها.. وبذلك يصبح العقل القرآني في الإنسان عقلا واعيا لطاعة الله يأتمر بما أمر وينتهي عما نهى، لا عقلا منفصلا عن خالقه، مجردا عن دواعي الحياة التي خلقها الله، أعني جوهرا قائما بذاته يصلح أن يكون حكما في كل شيء(٢٠).

ولكي يستطيع العقل القيام بوظيفته على الوجه الأكمل حرص الإسلام على تحرير العقل من عوائق وعقبات التفكير الصحيح التي تقف حجر عثرة في طريق عمل العقل ومباشرته لمهمته من أجل تحقيق الوعي فمن المقرر المعلوم: «أنه لا يمكن أن يزدهر العلم وتتأصل جذوره وتمتد فروعه، بل لا يمكن أن ينشأ علم صحيح إلا في مناخ نفسي وفكري يهيئ للعقول أن تفكر، وللأفكار أن تتفتح، وللآراء أن تتنامى، ولصاحب الحجة أن يدلى بحجته، وهذا ما يعمل القرآن على إيجاده في الحياة الإسلامية»(٢١).

ومن هنا فقد اتخذ الإسلام منهجا فريدا في تحرير العقل ليظل العقل متيقظا، والفكر راشدا، وهذا المنهج الإسلامي يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل في المتاهات الفلسفية، ومن شأنها أيضا ترشيد الفكر حتى يعمل في ميادين الخير، وما يفيد المجتمع الإسلامي والإنساني علما وحضارة وازدهارًا(٢٢).

وأول دعائم المنهج الإسلامي في تحرير العقل والفكر: هو تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته تربية إسلامية تقوم على حرية الفكر واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك العقل ويستقيم التفكير، وتكمل الشخصية الإنسانية.. وقد عنى الإسلام ببناء تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي عناية كبرى فجعل البرهان أساس الإيمان الصحيح، وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود، وأنذر الذين يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب فقال سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٢٣).

والدعامة الثانية في المنهج الإسلامي: هي تحرير الإنسان من ظلمة الجهل، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ويطفئ نور القلوب ويعمى البصائر.. والجهل هو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والخرافات والأهواء والأساطير، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٢٤).

والدعامة الثالثة في المنهج الإسلامي: تحرير الإنسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لمغرياتها، لأن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الإنسان في سلوكه، والتوائه في نظره وتفكيره، وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأي، ولا تعتدل لهم موازيين، ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم. ولهذا عنى الإسلام بتحذير الناس من إتباع الهوى فقال تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾(٢٥)، وقوله سبحانه ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٢٦).

والدعامة الرابعة في المنهج الإسلامي: تحرير الإنسان من تبعية التقليد الأعمى لمن ليسوا أهلا للتقليد، لأن التقليد يتضمن إلغاء العقل وتعطيله عن أداء وظيفته، لذا ذمه القرآن ونعى على أولائك الذين رفضوا الحق المبين، لا لشيء إلا لتمسكهم بما كان عليه آباؤهم من خرافات وأباطيل رغم مخالفة ذلك للحق، فقطعوا على أنفسهم طريق العلم وحرموا أنفسهم نعمة الفهم فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(٢٧).

والدعامة الخامسة من دعائم المنهج الإسلامي في تحرير العقل من عوائق التفكير: هي دعوته لاجتناب الظن، حيث ذم القرآن الكريم اتخاذ الظن طريقا للعلم واليقين، وأكد أن الظن لا يفيد يقينا ولا علما، ولا يغنى من الحق شيئا.. ومن هنا أنكر القرآن على المشركين إتباعهم الظن في القضايا الكلية الكبرى – كقضايا العقيدة– وقال عز وجل ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾(٢٨)، بل جعل القرآن إتباع الظن وراء ضلال أكثرية أهل الأرض وإضلالهم عن سبيل الله يقول تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾(٢٩).

الحوار والمحاورة:

الحوار من الأمور التي لها الأثر الكبير في ترسيخ قواعد الأمن والسلام، والحوار قد صاحب الإنسان منذ خلقه وهذا ما سنذكره في صور الحوار في القرآن الكريم، ومن صور الحوارات للنبي صلى الله عليه وسلم حديث حقيقة الإيمان والإسلام: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «حدثني أبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه؛ وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: « صدقت! فعجبنا له

يسأله ويصدقه». قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت! قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».. الخ. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم »(٣٠). ومنهج الحوار في الإسلام وفق العقيدة الصحيحة بخلاف الأديان الأخرى فهم يخلطون الحق بالباطل،

- **المبحث الثاني: صور من الحوار في القرآن الكريم:**

لقد ذكر الله في كتابه الكريم عدة صور للحوار منها الحوار الإلهي، وهذا ما كان بين الله تعالى والملائكة وكذلك ما كان بين الله تعالى وإبليس.

١ -الحوار بين الله تعالى والملائكة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٣١).

«قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾أي أن الله سبحانه وتعالى يخبر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بأن يقول للناس أنه عند خلق آدم. خلقه خليفة في الأرض. والكلام هنا لا يعني أن الله سبحانه وتعالى يستشير أحدا

في الخلق. بدليل أنه قال " إني جاعل " إذن فهو أمر مفروغ منه. ولكنه إعلام للملائكة.. والله سبحانه وتعالى. عندما يحدث الملائكة عن ذلك فلأن لهم مع آدم مهمة. فهناك المدبرات أمرا. والحفظة الكرام. وغيرهم من الملائكة الذين سيكلفهم الحق سبحانه وتعالى بمهام متعددة تتصل بحياة هذا المخلوق الجديد. فكان الإعلام. لأن للملائكة عملا مع هذا الخليفة»(٣٢).

وهذه صورة جميلة وربانية تؤكد معنى الحوار الذي يبرز فيه الذات الإلهية والذات الأخرى وهم الملائكة الكرام.

٢ - الحوار بين الله والملائكة وإبليس:

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٣).

وقال الشيخ الشعراوي في تفسيره(٣٤): وقد سجدوا جميعًا في حركة واحدة؛ ذلك أنه لا اختيارَ لهم في تنفيذ ما يُؤمرون به، فمن بَعْد أن خلق اللهُ آدمَ جاء تكريم الحق سبحانه له بقوله للملائكة:﴿اسْجُدُواْ لآدَمَ...﴾[طه: ١١٦]

وسجدت الملائكة التي كلَّفها الله برعاية وتدبير هذا المخلوق الجديد، وهم المُدبِّرات أمرًا والحفظة، ومَنْ لهم علاقة بهذا المخلوق الجديد.

وقوله الحق: ﴿...فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[الحجر: ٢٩]

يعني أن عملية السجود قد حدثت بصورة مباشرة وحاسمة وسريعة، وكان سجودهم هو طاعة للآمر الأعلى؛ لا طاعة لآدم.

وقول الحق سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]

يعني الملائكة الأعلى من البشر، ذلك أن هناك ملائكةً أعلى منهم؛ وهم الملائكة المتفرِّغون للتسبيح فقط، فمن الملائكة عالون، ومنهم أعلى عليون.

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن...﴾ وإذا كان إبليس قد عُوقِب؛ فذلك لأنه استثنى من السجود امتناعًا وإباءً واستكبارًا؛ فهل هذا يعني أن إبليس من الملائكة؟

لا. ذلك أن هناك نصًا صريحًا يقول فيه الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...﴾[الكهف: ٥٠]

وهكذا حسم الحق سبحانه الأمر بأن إبليس ليس من الملائكة؛ بل هو من الجنّ؛ والجن جنس مختار كالإنس؛ يمكن أن يُطيع، ويمكن أن يَعصِي.

وكونه سَمِع الأمر بالسجود؛ فمعنى ذلك أنه كان في نفس الحَضْرة للملائكة؛ ومعنى هذا أنه كان من قبل ذلك قد التزم التزامًا يرفعه إلى مستوى الحضور مع الملائكة؛ ذلك أنه مُختار يستطيع أن يطيع، ويملك أن يعصي، ولكن التزامه الذي اختاره جعله في صفوف الملائكة.

وقالت كتب الأثر: إنهم كانوا يُسمُّونه طاووس الملائكة مختالاً بطاعته،

وهو الذي وهبه الله الاختيار، لأنه قدر على نفسه وحمل نفسه على طاعة ربه، لذلك كان مجلسه مع الملائكة تكريمًا له؛ لأنه يجلس مع الأطهار، لكنه ليس ملكا.

وبعض العلماء صنَّفوه بمُستوًى أعلى من الملائكة؛ والبعض الآخر صنَّفه بأنه أقلُّ من الملائكة؛ لأنه من الجنّ؛ ولكن الأمر المُتفق عليه أنه لم يكُنْ ملكا بنصِّ القرآن، وسواء أكان أعلى أم أدنى، فقد كان عليه الالتزام بما يصدر من الحق سبحانه.

ونجد الحق سبحانه وهو يعرض هذه المسألة، يقول مرة (أبىَ)، ومرة (استكبر)، ومرة يجمع بين الإباء والاستكبار.

والإباء يعني أنه يرفض أن ينفذ الأمر بدون تعال. والاستكبار هو التأبي بالكيفية، وهنا كانت العقوبة تعليلاً لعملية الإباء والاستكبار، وكيف ردّ أمر الحق أورده سبحانه مرة بقول إبليس: ﴿...لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر: ٣٣].

وقوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦].

ويقول الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

وتقول "ما لك؟ " في الشيء العجيب الذي تريد أن تعرف كيف وقع، وكأن هذا تساؤلٌ عن أمر مخالف لِمَا اختاره إبليس؛ الذي وهبه الله خاصية الاختيار، وقد اختار أن يكون على الطاعة.

ولنلحظ أن المتكلم هنا هو الله؛ وهو الذي يعلم أنه خلق إبليس بخاصية

الاختيار؛ فله أن يطيعَ، وله أنْ يعصيَ. وهو سبحانه هنا يُوضّح ما علمه أزلاً عن إبليس؛ وشاء سبحانه إبراز هذا ليكون حجة على إبليس يوم القيامة.

ويتابع سبحانه: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ...﴾.

وهكذا أفصح إبليس عما يُكِنّه من فَهْم خاطئ لطبيعة العناصر؛ فقد توهَّم أن الطينَ والصلصال أقلُّ مرتبة من النار التي خلقه منها الله. وامتناع إبليس عن السجود ــ إذن ــ امتناع مُعلَّل؛ وكأن إبليس قد فَهِم أن عنصر المخلوقية هو الذي يعطي التمايز؛ وتجاهل أن الأمر هو إرادة المُعنصِر الذي يُرتِّب المراتب بحكمته، وليس على هَوى أحدٍ من المخلوقات.

ثم من قال: إن النارَ أفضلُ من الطين؟ ونحن نعلم أنه لا يُقال في شيء إنه أفضل من الآخر إلا إذا استوتْ المصلحة فيهما؛ والنار لها جهة استخدام، والطين له استخدام مختلف؛ وأيٌّ منهما له مهمة تختلف عن مهمة الآخر.

ومن توجيه الله في فضائل الخَلْق أن مَنْ يطلي الأشياء بالذهب لا يختلف عنده سبحانه عن الذي يعجن الطين ليصنعَ منه الفخار، فلا يفضلُ أحدهما الآخرَ إلا بإتقان مهمته.

وهكذا أفصح إبليس أن الذي زَيَّن له عدم الامتثال لأمر السجود هو قناعته بأن هناك عنصرًا أفضل من عنصر.

ويأتي الأمر بالعقاب من الحق سبحانه؛ فيقول تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا...﴾.

٣ - صورة أخرى للحوار بين الله وإبليس :

فلقد جاءت عدة صور للحوار فقد قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ

إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٣٥)، نلاحظ تدرج الحوار في هذا الأسلوب القائم بين الله تعالى وبين إبليس فنجد التكبر واضح من إبليس ونتاج تكبره، لذلك يقف الإنسان مع نفسه موقف المتعلم الذي يستفيد من هذا الحوار القرآني التعليمي.

٤ - الحوار بين الله تعالى والأنبياء:

ولقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم عدة صور لحوارات الله تعالى مع أنبيائه ونوجزها بحوار الله تعالى مع آدم قال تعالى: وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(٣٦).

ونلاحظ في هذا الحوار نداء الذات الإلهة لمخلوقه سيدنا آدم والخطاب له ولزوجه أن لكم الجنة، فكُلا من ثمارها حيث شئتما، ولا تأكلا من ثمرة شجرة(عيَّنها لهما)، فإن فعلتما ذلك كنتما من الظالمين المتجاوزين حدود الله.

فألقى الشيطان لآدم وحواء وسوسة لإيقاعهما في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها؛ لتكون عاقبتهما انكشاف ما سُتر من عوراتهما، وقال لهما في محاولة المكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل مِن ثمر هذه الشجرة مِن أجل أن لا تكونا ملَكين، ومِن أجل أن لا تكونا

من الخالدين في الحياة. فكانت مخالفة آدم وزوجه بالفعل لا بالحوار وهذا يعتبر صور أخرى للحوارات.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٣٧).

قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حظّهم في دنياهم وأخراهم.(وهذه الكلمات هي التي تلقاها آدم من ربه، فدعا بها فتاب الله عليه). فكانت التوبة بالدعاء والرجاء من الله عزوجل بالعفو والمغفرة. وكذلك تعتبر من صورة من صور الحوارات الايجابية.

أ - حوار الله عز وجل مع سيدنا نوح عليه السلام :

قال الله تعالى ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ ...﴾(٣٨).

ب -حوار الله تعالى مع سيدنا إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣٩).

ج -حوار الله تعالى مع سيدنا موسى عليه السلام :

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾(٤٠).

ولقد كان الحوار بين الله تعالى والأنبياء حوار الخالق لصفوة خلقه، لتبليغ الدعوة ونشر الفضائل وحاورهم على وجه الخصوص لمكانتهم عنده، وليبين منزلتهم لدى الناس، وليستجيبوا لهم، ويقتدوا بهم وليأتمروا بأوامرهم، وذلك لتحقيق أوامر الله تعالى(٤١).

علما بأن الحوار في القرآن الكريم كثير وصورة مختلفة منها ما ذكرناه، ومنه ما سنذكره عرضا مثل حوار الله تعالى وسيدنا زكريا عليه السلام، حيث قال تعالى: ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا *

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾(٤٢).

وحوار بين الله تعالى والإنسان بواسطة الرسل عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤٣).

وحوار الله تعالى والإنسان بواسطة الملائكة، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٤٤).

والحوار الإنساني وله أشكال كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٤٥).

د -حوار الله تعالى مع سيدنا يوسف عليه السلام:

قال تعالى:﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ

مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ* فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٦).

هذه صورة من صور الحوار الوحيي من الله لرسله وموقفه سبحانه من خيانة أولاد سيدنا يعقوب لأبيهم وأخيهم يوسف عليه السلام.وطمأنته له بأنك لتخبرنَّ إخوتك مستقبلا بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يُحِسُّون بذلك الأمر ولا يشعرون به.

٥ -الحوار العام :

والحوار العام مثل حوار الإنسان والحيوان أو الطير أو الحشرات في قوله تعالى: وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٤٧).

٦ - حوار الإنسان في اليوم الآخر:

في قوله تعالى: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٨).

قال السعدي في تفسيره: ويخلق اللّه لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم. فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه.

وقوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ أي: يفجرونها تفجيرا، حيث شاءوا، وأين أرادوا، إن شاءوا في خلال القصور، أو في تلك الغرف العاليات، أو في رياض الجنات، من تحت تلك الحدائق الزاهرات.

أنهار تجري في غير أخدود، وخيرات ليس لها حد محدود وَ لهذا لما رأوا ما أنعم اللّه عليهم وأكرمهم به ﴿قَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ بأن من علينا وأوحى إلى قلوبنا، فآمنت به، وانقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ اللّه علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ أي: ليس في نفوسنا قابلية للهدى، لولا أنه تعالى منَّ بهدايته وإتباع رسله(٤٩).

٧ - حوار أهل الجنة وأهل النار :

في قوله تعالى: وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ(٥٠).

قال السعدي في تفسيره: يقول تعالى لما ذكر استقرار كل من الفريقين

في الدارين، ووجدوا ما أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب من الثواب والعقاب: أن أهل الجنة نادوا أصحاب النار بأن قالوا: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ حين وعدنا على الإيمان والعمل الصالح الجنة فأدخلناها وأرانا ما وصفه لنا ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ على الكفر والمعاصي ﴿حَقًّا قالوا نعم﴾ قد وجدناه حقا، فبين للخلق كلهم، بيانا لا شك فيه، صدق وعد اللّه، ومن أصدق من اللّه قيلا وذهبت عنهم الشكوك والشبه، وصار الأمر حق اليقين، وفرح المؤمنون بوعد اللّه واغتبطوا، وأيس الكفار من الخير، وأقروا على أنفسهم بأنهم مستحقون للعذاب(٥١).

• المبحث الثالث: أشكال الحوار في القرآن الكريم:

أ - الحوار السري:

في قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٥٢).

يقول ابن كثير في تفسيره(٥٣) في قوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ يعني: كلام الناس ﴿إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنَيس قال: دخلنا على سفيان الثوري نعوده – وأومأ إلى دار العطارين – فدخل عليه سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفيان الثوري: الحديث الذي كنت حدثتني به عن أم صالح اردُدْه

علي. فقال: حدثتني أم صالح، عن صَفية بنت شَيْبة، عن أم حَبيبَة قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلام ابن آدم كله عليه لا له ما خلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله عز وجل". قال سفيان: فناشدته، فقال محمد بن يزيد: ما أشد هذا الحديث؟

فقال سفيان: وما شدة هذا الحديث؟ إنما جاءت به امرأة عن امرأة، هذا في كتاب الله الذي أرسل به نبيكم صلى الله عليه وسلم أو ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فهو هذا بعينه، أو ما سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] فهو هذا بعينه، أو ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿والْعَصْرِ* إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ*إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر]، فهو هذا بعينه.

وقد روى هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خُنَيس عن سعيد بن حسان، به. ولم يذكرا أقوال الثوري إلى آخرها، ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن خُنَيس(٥٤).

ب - الحوار العلني:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾(٥٥).

قال الشيخ محمد الصابوني في حوار سيدنا نوح مع قومه « أي دعوتهم

علنا على رؤوس الأشهاد مجاهرا بدعوتي لهم دون خوف أو تحفظ وأخبرتهم سرا وعلنا وخفية وجهرا سلكت معهم كل طريق في الدعوة إليك»[٥٦].

وقال الشيخ سيد طنطاوي: فقد حكت لنا الآيات بعد ذلك، أن نوحا - عليه السلام - قد واصل دعوته لهم بشتى الأساليب. فقال - كما حكى القرآن عنه -: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾.

وقوله: ﴿جِهَارًا﴾ صفة لمصدر محذوف. أي: دعوتهم دعاء جهارا. أي: مجاهرا لهم بدعوتي، بحيث صارت دعوتي لهم أمامهم جميعا.

﴿ثُمَّ إني أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ تارة ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ تارة أخرى.

أي: أنه - عليه السلام - توخي ما يظنه يؤدى إلى نجاح دعوته، وراعى أحوالهم في ذلك، فهو تارة يدعوهم جهرا، وتارة يدعوهم سرا، وتارة يجمع بين الأمرين.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا، ثم دعاهم جهارا، ثم دعاهم في السر والعلن، فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف؟قلت: قد فعل - عليه السلام - كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان.

ومعنى " ثم " الدلالة على تباعد الأحوال، لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما.

والحقيقة هذه صورة للذات والآخر قام بها سيدنا نوح عليه السلام لتبليغ رسالة ربه إلى قومه وكان الآخر قومه الذين كانت معارضة للذات

معارضة شديدة، فكان الإيجاب من الذات وسلب من الآخر فتكون النتيجة سالبة، يكون عاقبة هذا الأمر على الآخر(٥٧).

وقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(٥٨).

فهذه صورة جميلة من الحوار مع سيدنا سليمان والنملة، صورة تعطي دقة في مستوى الحوار الراقي، الذي يعطي انعكاسات ربانية رائعة، ويفتح في مجال البحث العلمي آفاقا أخرى، بعيدة عن الجدل، وعن الأمور التي تزيد في النفس الضيق أو الكدر، وإنما تعطي انشراحا وسعة في النفس لصورة جميلة قد ذكرتها الآية الكريمة.

• المبحث الرابع: أقسام الحوار والجدل، ومنهج القرآن في الحوار الجدلي:

أولا: أقسام الحوار:

ومن أقسام الحوار: الحوار الجدلي والجدل لا يمكن أن يخلو منه بشر وهذه طبيعة بشرية غرسها الله تعالى فيهم، فما معنى الجدل؟ (٥٩)

«الجدل: مأخوذ من الجَدْل، وهو فَتْل الشيء ليشتد بعد أنْ كان ليناً كما نفتل حبالنا في الريف، فالقطن أو الصوف مثلاً يكون منتفشاً يأخذ حيزًا واسعًا، فإذا أردنا أن نأخذ منه خيطًا جمعنا بعض الشعيرات ليُقوّي بعضها بعضًا بلفّها حول بعضها، وبجَدْل الخيوط نصنع الحبال لتكون أقوى، وعلى قَدْر الغاية التي يُراد لها الحبل تكون قوته.

ومن الجدل أُخِذ الجدال والجدل والمجادلة، وفي معناها: الحوار والحجاج والمناظرة، ومعناه أن يوجد فريقان لكل منها مذهب يؤيده ويدافع عنه ليفتن الآخر أي: ليلفته عن مذهبه إلى مذهبه هو».

فمنهم من يجادل في الحق فيكون جدلا ممدوحا، ومنهم من يجادل في الباطل فيكون جدلا مذموما.

ثانيا: أقسام الجدل:

ينقسم الجدل إلى قسمين جدول ممدوح، وجدول مذموم.

أ - الجدل الممدوح:

ومن أمثلة الجدل الممدوح في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ...﴾(٦٠).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ...﴾(٦١).

وقال القطان في تفسيره(٦٢):" يؤكد القرآن الكريم على الدعوة بالرّفق واللين، ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ومقابلة الغضب والعصبية بالهدوء وكظم الغيظ، فيقول ﴿وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب إِلاَّ بالتي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ويقول: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [النحل: ١٢٥].ويقول: ﴿ادفع بالتي هِيَ أَحْسَنُ﴾[المؤمنون: ٩٦].

هذه أوامر الله تعالى في القرآن الكريم، يأمرنا أن نتحلّى بالرفق واللين، وندعو ونجادل بالتي هي أحسن، لكننا مع الأسف نجد معظم الذين يرتدون في الظاهر زى الدين، ويدعون إلى الله – لا يتحلّون بهذه الأخلاق، فتجدهم على المنابر متشنّجين متشدّدين، وقد لا نظلمهم إذا قلنا إن بعضهم يتشنّج في خدمة جيبه، لا خدمة ربّه.

ب - الجدل المذموم:

ومن أمثلة الجدل المذموم في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ(٦٣). وقوله تعالى: فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(٦٤). وقوله تعالى: فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٦٥).

وقال السعدي في تفسيره: وهذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا وبينكم، فأخبر هنا أن ﴿الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ﴾ بالحجج الباطلة، والشبه المتناقضة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أي: من بعد ما استجاب لله أولو الألباب والعقول، لما بين لهم من الآيات القاطعة، والبراهين الساطعة، فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: باطلة مدفوعة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لأنها مشتملة على رد الحق وكل ما خالف الحق، فهو باطل.

﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ لعصيانهم وإعراضهم عن حجج الله وبيناته وتكذيبها.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ هو أثر غضب اللّه عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل(٦٦).

من أساليب القرآن الكريم في الدعوة: أسلوب الحوار والمخاطبة مع غير المسلمين، ولقد برز هذا الأسلوب في حوار اليهود، والكشف عن طواياهم السيئة وأعمالهم الخبيثة؛ كإيمانهم بالجبت والطاغوت، وتفضيلهم المشركين على المسلمين، وحسدهم العرب أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وكفرهم بأنبيائهم السابقين مع كونهم من بني جلدتهم، وبعد هذا الكفر والعناد يرتب القرآن الكريم جزاء الكافرين المعاندين أمثال هؤلاء اليهود، وجزاء المؤمنين المصدقين(٦٧).

وكذلك من صور الحوار الجدلي السلبي:

قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾(٦٨).

لقد ضرب الله مثلاً في هذه الآيات الكريمة يبيّن فيه أن المال لا ينبغي أن يكون موضع فَخار، لأنه ظلٌ زائل، وكثيرا ما تتقلب الموازين فيصير الفقير غنيًا والغني فقيرًا، وإنما الذي يجب أن يكون أساسَ التفاضل هو الإيمانُ بالله عز وجل والعمل الصالح الذي ينفع الناس.

يقول الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: (اذكر أيها الرسول لقومك هذا المثل الذي وقع بين رجلين): كافرٍ ومؤمن، وقد رزقنا الكافر جنّتين فيهما أعنابٌ وأصناف كثيرة من الشجر المثمر، وأحطناهما بالنخل، وجعلنا بين البستانين زرعا جيدا.

وقد أثمرت كل واحدةٍ من الجنتين ثمرًا كثيرا، ولم يَنقُص منه شيءٌ، وقد فجرّنا بينهما نهرا يسقيهما.

وكان لصاحب الجنتين أموالٌ أخرى كثيرة، فداخَلَه الغرور والكبرياء بتلك النعم، فقال لصاحبه المؤمن وهو يجادله: أنا أكثرُ منك مالاً وأكثر خدمًا وحشَما وأنصارا.

ثم زاد فخرا على صاحبه المؤمن، فدخل إحدى جنتيه وهو مأخوذ بغروره فقال: ما أظنُ أن تَفنى هذه الجنة أبدا، وما أظنّ أن يوم القيامة آتٍ كما تقول، ولو فُرض ورجعتُ إلى ربي يوم البعث كما تزعم، ليكوننّ لي هناك أحسنُ من هذا الحظ عند ربي، لأنه لم يعطِني هذه الخيراتِ في الدنيا إلا ليعطيني ما هوَ أفضل منها فيما بعد.

فقال له صاحبه المؤمن واعظًا له وزاجرًا عما هو فيه من الكفر: كيف تكفر بربك الذي خلَقَك من ترابٍ ثم من نطفة، ثم صوّرك رجلاً كاملا. أنا أقول: إن الذي خلَقني وخلَق هذا الكونَ وما فيه هو الله ربي، وانأ أومن به وأعبُده وحده ولا أُشرِك معه أحدا.

ثم زاد في وعظه قائلا: هلاّ إذ أعجبتْك جنتُك حين دخلتَها ونظرتَ إلى ما فيها من رزق وجمال حمدتَ الله على ما أنعم به عليك وقلت: «مَا شَآءَ الله لاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله» هذا ما شاء الله، فيكون ذلكَ شكرًا كفيلاً بدوام النعمة عليك.

وبعد أن نصح المؤمن الكافرَ بالإيمان، وأبان له عظيم قدرة الله وكبيرَ سلطانه، قال له: إن تَرَنِي أنا أفقرَ منك وأقلُ ولدا، فإني أرجو من الله أن يرزقني خيرًا من جنتك ويرسلَ على جنتك سيولاً عظيمة وصواعقَ تخرّبها فتصيرَ أرضًا ملساء لا ينبت فيها شيء ولا يثبت عليها زرع، وتصبح أنت وما تملك أثرًا بعد عين. وقد اخبر الله تعالى بأنه قد حقّق ما قدّره هذا المؤمن فقال : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ...﴾

أحاطت الجوائحُ بثمار جنته التي كان يقول: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ وأهلكتها الصواعقُ والآفات، وأبادت أصولَها، فأصبح يقلّب كفيه ندمًا وتجسرا على خسارته وضياع ماله حين رآها ساقطةً على عروشها خاليةً من الثمر، وضاعت منه الدنيا وحُرم نعيم الدنيا وثواب والآخرة معا، وعظُمت حسرته وقال: ليتَني لم أشرك بربّي أحدا (٦٩).

ثالثا: منهج القرآن الكريم في الحوار الجدلي:

لقد استخدم القرآن الكريم عدة أساليب في الجدل، لكل أسلوب يستخدمه الآخر أسلوب مناسب له ويكون حجة عليه، فلقد استخدم الكفار أسلوب الشبهة في الطعن في الرسل، فقد ذكر الكفار في شبهتهم أن الرسل لا بد أن يكونوا ملائكة.. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا..﴾ (٧٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾(٧١).

وقد تكفل القرآن الكريم بالرد على هذه الشبهة الواهية، وبيان أن سنة الله في جميع الأزمنة أن يرسل إلى الناس واحد منهم، ويختار لذلك المنصب، ويصطفيه لهذا العمل. أما الملائكة فليس من سنته أن تكون رسالة الله للناس على أيديهم من طريق علني واضح(٧٢).

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسيره: وقد رد الله تعالى – على قولهم هذا بردين حكيمين:

أما الرد الأول: فقال فيه: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمر ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ﴾(٧٣).

أي: لو أنزلنا ملكا كما اقترح هؤلاء الكافرون وهم على ما هم عليه من الكفر والجحود، لقضى الأمر بإهلاكهم، ثم لا ينظرون، أي: لا يؤخرون ولا يمهلون ليؤمنوا، بل يأخذهم العذاب عاجلا، فقد مضت سنة الله فيمن قبلهم، أنهم كانوا إذا اقترحوا آية وأعطوها ولم يؤمنوا يعذبهم الله بالهلاك، والله – تعالى – لا يريد أن يهلك هذه الأمة التي بعث فيها خاتم رسله نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بسبب إجابة مقترحات أولئك المعاندين المستكبرين، كما قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾(٧٤).

وأما الرد الثاني فقال فيه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾(٧٥).

أي: لو جعلنا الرسول من الملائكة - كما اقترحوا - لكانت الحكمة تقتضى أن نجعله في صورة بشر ليتمكنوا من رؤيته ومن سماع كلامه الذي يبلغه عن الله - تعالى - وفى هذه الحالة سيقولون لهذا الملك المرسل إليهم في صورة بشر -: لست ملكا، لأنهم لا يدركون منه إلا صورته وصفاته البشرية التي تمثل بها، وحينئذ يقعون في نفس اللبس والاشتباه الذي يلبسونه على أنفسهم باستنكار جعل الرسول بشرًا (٧٦).

أ - استخدام القرآن الكريم الحوار الاستفهامي الاستنكاري:

وقد ورد هذا الأسلوب كثيرا في القرآن الكريم وخصوصا في محاورة أهل الكتاب وهو أن ينكر عليهم أفعالهم المنكرة عن طريق الاستفهام الاستنكاري، ومع تلك الآيات نرى الأفعال الفاسدة والمخالفة لما ذكر في كتبهم السماوية.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧٧).

ب - الحوار القصصي في القرآن الكريم:

مع شدة إعجاب الكفار بالقرآن الكريم إلا أنهم كانوا ينكرون ذلك، فقد كانوا يتسللون ليلا لسماع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا طلع عليهم الفجر تفرقوا وأخفوا عن أعين الناس صنيعهم، لذلك جاء هذا الحوار القصصي في القرآن الكريم الذي امتاز بأسلوبه الراقي، وبلاغته الفائقة فقد روى ابن اسحق وغبره أنّ الأخنس بن شريق أتى أبا جهل فقال له: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد إذ كانوا يأتون دار محمد وهو يصلي بالليل يستمعون القرآن فإذا طلع النهار تفرّقوا قال ماذا سمعت؟

تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك نحن هذه، والله لا نؤمن أبدًا ولا نصدقه فقام الأخنس وتركه(٧٨).

ويقول صاحب الظلال: وذلك كما ورد في قصته مع الأخنس بن شريق وأبي سفيان بن حرب، حين خرجوا ثلاث ليال يستمعون القرآن خفية، وهم في كل ليلة يتواعدون على عدم العودة خيفة أن يراهم الناس فيقع في نفوسهم شيء. فلما سأل الأخنس بن شريق أبا جهل رأيه فيما سمع من محمد كان جوابه: «ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا. حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه! ».

وكانت هناك اعتبارات أخرى نفعية وطبقية ونفسية من ركام الجاهلية في المشاعر والتصورات والأوضاع كلها تحاول قتل تلك الغرسة الجديدة في مغرسها بكل وسيلة قبل أن تثبت جذورها وتتعمق، وقبل أن تمتد فروعها وتتشابك. وبخاصة بعد أن تجاوزت دور الدعوة الفردية؛ وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجهر بالدعوة؛ وأخذت معالم الدعوة الجديدة تبرز، كما أخذ القرآن يتنزل بتسفيه عقيدة الشرك وما وراءها من الآلهة المدعاة والتصورات المنحرفة والتقاليد الباطلة (٧٩).

ويمثل هذا الحوار القصصي القرآني جاء تنوع القصة بين الطول والقصر في القرآن الكريم:

١. القصة القصيرة :

القصة القصيرة في القرآن نوع من أنواع الحوارات التي تفرد به القرآن الكريم، ولعل الله عزوجل يريد بها حكم عظيم، منها تدرج الأحداث، أنس الرسول صلى الله عليه وسلم، وترتيب زمن التاريخ، وتأكيد مفاهيم خاصة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٨٠).

«القصة القصيرة حوار مؤلف من عدة أسئلة وتوجيهات ونصائح ترتكز عليها أحداث القصة. ويتخللها بعض الردود الموجهة والأجوبة والتعليقات التي تحكي أحداثها وأطرافها وتصب جميع هذه الأسئلة والنصائح في مجال العمل على تحقيق الأهداف والقناعات الإعتقادية والمطلوب تبليغها إلى المخاطبين لحملهم على تحقيق المنهج الرباني» (٨١).

٢. القصة الطويلة:

هي القصة التي تأخذ حيزا وتشمل عدة مواضيع مختلفة، وتذكر هذه المواضيع بشكل تفصيلي في القرآن في موقع واحد، كقصة سيدنا يوسف عليه السلام حيث ذكرت في سورة واحدة، ألا وهو سورة يوسف، أو تذكر القصة في سور ومواقع متفرقة في القرآن الكريم مثل قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون والذي بلغ عدد المواطن التي ذكرت فيها ١٣٦ موطنا، هذا في جانب الصلاح، وأما في جانب الفساد والطغيان فان فرعون من أكثر الطغاة ذكرا في القرآن إذ بلغ عدد المواضع التي ذكر فيها فرعون ٧٤ موضعا(٨٢).

ولو تأملنا قصة سيدنا يوسف عليه السلام، لوجدنا الوصف البليغ والجميل في وصف وسرد أحداث قصة سيدنا يوسف عليه السلام فبدأت بحوار البداية والنهاية والتي تعطي للقصة جاذبية شديدة لسماع أحداثها قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣).

وحواراتها الأخرى مثل حوار المؤامرة والمحن الكثيرة التي أصابت سيدنا يوسف عليه السلام والتي تدل على روعة الحوار القصصي في القرآن الكريم. وفيما يلي بيان ذلك.

• المبحث الخامس: أنواع القصص الحوارية في القرآن الكريم:

١. حوار القصة التاريخية الواقعية:

وتتمثل هذه القصة في قول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾(٨٤).

٢. حوار القصة التمثيلية:

جاء ذلك في الحوار الذي دار بين سيدنا موسى والرجل الصالح، وقد عهد سيدنا موسى أن لا يعصى له أمرا، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ

اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٥).

ولو تأملنا هذه القصة لوجدنا فيها من الحكم التي لا حصر لها، والتي يعجز البحث عن تفصيلها، ويكفي ما ذكر من الآيات وهى تلبس الحوار أسلوبا رائعا ودقة متناهية، وصورة حية، ومشهدا واضحا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الرجل الصالح رحمه الله.

٣. حوار القصة التفصيلية:

وهذا ما حدث في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾(٨٦).

٤. حوار القصة التعليمية:

لو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه منهج متكامل لمدرسة الحياة على جميع مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وان الحوار التعليمي في القرآن الكريم كثير وقد وذكر منه حوار لقمان الحكيم مع ابنه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ.. ﴾(٨٧).

يخبرنا الحق تبارك وتعالى بأسلوب تعليمي وحوار مفيد ومختصر يعطي الفرد أسس الحياة الصحيحة والناجحة النجاح الذي ينتهي إلى مرضاة الله تعالى والفوز بالجنة.

ويقول ابن عاشور في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ﴾ (٨٨): الواو عاطفة قصة لقمان على قصة النضر بن الحارث المتقدمة في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ [لقمان: ٦] باعتبار كونها تضمنت عجيب حاله في الضلالة من عنايته بلهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذ سبيل الله هزؤا، وباعتبار كون قصة لقمان متضمنة عجيب حال لقمان في الاهتداء والحكمة، فهما حالان متضادان؛ فقُطِع النظر عن كون قصة النضر سيقت مساق المقدمة والمدخل إلى المقصود لأن الكلام لما طال في المقدمة خرجت عن سَنن المقدمات إلى المقصودات بالذات فلذلك عطفت عطفَ القصص ولم تُفصل فَصْل النتائج عقب مقدماتها. وقد تتعدد الاعتبارات للأسلوب الواحد فيتخير البليغ في رعيها كقوله تعالى ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾ في سورة[البقرة ٤٩]، ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ في سورة [إبراهيم: ١]. وافتتاح القصة بحرفي التوكيد: لام القسم و (قد) للإنباء بأنها خبر عن أمر مهم واقع.

فهذا الأسلوب القرآن الراقي الذي – كما ذكرت – تعجبت منه العرب لبلاغته وعذوبة أسلوبه، ولا يقول هذا الكلام بشر، وإنما هو من رب خالق البشر.

٥. الحوار المباشر :

يقول الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾(٨٩).

نلاحظ مباشرة الخطاب لنساء النبي دون وضع وساطة من النبي صلى

الله عليه وسلم، يا نساء النبي مَن يأت منكن بمعصية ظاهرة يُضاعَف لها العذاب مرتين. فلما كانت مكانتهن رفيعة ناسب أن يجعل الله الذنب الواقع منهن عقوبته مغلظة؛ صيانة لجنابهن وجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ذلك العقاب على الله يسيرًا.

ويقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٩٠).

أي الْزَمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر. وأدِّين – يا نساء النبي– الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكنَّ، ويبعد عنكنَّ الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي – ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام–، ويطهِّر نفوسكم غاية الطهارة.

ونلاحظ في الحوار المباشرة الشدة لأهمية موضوع الحوار وقوته، فكان الحوار مباشرة من الله سبحانه وتعالى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

٦. الحوار غير المباشر:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٩١).

(٢٢) المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة.د/ أحمد عبد الرحيم السايح ص٣٣، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، ١٩٨٠م.

(٢٣) الحج: ٨، ٩.

(٢٤) المائدة: ٥.

(٢٥) ص: ٢٦.

(٢٦) الفرقان: ٤٣ ، ٤٤.

(٢٧) البقرة: ١٧٠

(٢٨) يونس: ٣٦.

(٢٩) الأنعام: ١١٦.

(٣٠) رواه مسلم: (١٠٢).

(٣١) سورة البقرة: ٣٠-٣٣.

(٣٢) تفسير الشعراوي، ج ١ ص ٣٤.

(٣٣) سورة الحجر:٢٨-٤٣.

(٣٤) انظر: تفسير الشعراوي، ج ٧ ص ١١٧.

(٣٥) سورة الأعراف: ١٢- ١٨.

(٣٦) سورة الأعراف: ١٩.

(٣٧) سورة الأعراف: ٢٢.

(٣٨) هود : ٤٥-٤٨.

(٣٩) سورة البقرة: ٢٦٠

(٤٠) سورة طه: ١٢- ٢٣.

(٤١) انظر: الحوار وفن تكوين العلاقات مع الآخرين في ضوء الكتاب والسنة – د عماد النهاية – ص ١٤٩- الكويت.

(٤٢) سورة مريم: ٢-١٠.

(٤٣) سورة البقرة: ١٨٩.

(٤٤) سورة آل عمران: ٣٨-٣٩.

(٤٥) سورة المائدة: ٢٧-٣١.

(٤٦) سورة يوسف: ١١- ١٥.

(٤٧) سورة النمل: ١٧-٢٢.

- **حواشي البحث:**

(١) سورة الروم ٢٢.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

(٣) انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب (٦/ ٣٣٤٨)

(٤) انظر: د.سليمان الخطيب – جامعة المنيا – المؤتمر الدولي الرابع (الثقافة العربية الإسلامية الوحدة والتنوع)، (الثقافة الإسلامية... لماذا)، ص ٢٦٥٩.

(٥) سورة الذاريات: ٥٦.

(٦) انظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ص ٧ الطبعة الرابعة -١٩٨٩ مكتبة وهبة – القاهرة.

(٧) سورة المائدة: ٣.

(٨) انظر: الشيخ حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص ٣٥٦ الطبعة الثالثة ١٩٨٤ – المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر – بيروت.

(٩) تفسير الشعراوي: ص ٢٥٩٥.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، م . س (٤| ٢١٧).

(١١) المعجم الوسيط، تأليف مجموعة من العلماء، م، س (١| ٢٠٥).

(١٢) د.خالد إبراهيم أحمد حسب الله – العقل ودوره في المجال العقدي- ص٢٥٩٧.

(١٣) التفكير فريضة إسلامية، ص٨،٧.

(١٤) راجع كتابه: العقل والعلم في القرآن ص١٣، ط مكتبة وهبة ١٩٩٦.

(١٥) راجع مثلا الآيات التالية: البقرة:١٩٧، ٢٦٩، المائدة:١٠٠، الطلاق: ١١.. إلخ.

(١٦) البقرة:٧

(١٧) أنظر : القرضاوي العقل والعلم في القرآن ص ٢٢، ط مكتبة وهبة ١٩٩٦

(١٨) العقل وفهم القرآن المحاسبي، ص١١٨.

(١٩) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، ص٩٨-٩٩.

(٢٠) العقل وفهم القرآن، ص١١٩.

(٢١) القرضاوي العقل والعلم في القرآن ص٢٤٩.

بين الذات الإلهية والملائكة وبين الملائكة ورسل الله تعالى، وبين رسل الله تعالى وبين أقوامهم.

رابعا: أشكال الحوار في القرآن الكريم السري منه والعلني يعطي قيمة بالغة في لاهتمام القرآن الكريم بالحوار وعنايته الفائقة بهذا المفهوم.

خامسا: أنواع الحوار الجدلي الممدوح منه والمذموم، ومنهج القران الكريم في أنواع الحوار الجدلي واستخدام أسلوب الحجة البالغة والراقية في الطرح، تكون منهجًا يتعلم منه دعاة الماضي واليوم والمستقبل لتوصيل دعوة الله للناس.

سادسا: الحوارات القصصية في القران أحد أساليب الحوار، وفن امتاز به القرآن الكريم كان له الأثر البالغ والواضح في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته، وكان له أثر بالغ كذلك على قومه ولكن المكابرة والعناد والعجب منع إظهار هذه الحقيقة في أنفسهم.

سابعا: إن للقرآن الكريم أساليب كثيرة ومتنوعة لإيصال المعلومة الحقيقية والصادقة للآخرين مع معرفة حقيقة تفكير الآخر.

ثامنا: من آداب الحوارات بين الذات والأخرى الرجوع إلى الحق عند الاختلاف كما أمرنا ديننا الحنيف لان الغرض من الحوارات الوصول إلى الحق وجمع الكلمة.

تاسعا: من أهم عناصر فشل الحوارات هو الخلق الذميم والكبر، الذي بدأ به إبليس وصار منهجا يتبعه أهل الكفر والضلال ومن أراد خلاف الحق.

والحمد لله رب العالمين

١- الحوار هو احد تفاعلات الذات والذات الأخرى والتعامل ايجابيا وسلبيا، فان الحوار يعطي جرعة كافية لإشباع حاجات الذات النفسية والوجدانية والدينية والثقافية والأدبية وما شابه ذلك ، وتتكون المنافسة التي من خلالها تؤسس أحد الأنظمة الحياتية.

٢- الحوار هو المدخل الحضاري الذي يتطلبه الواقع، ويمكن للأمة الإسلامية أن تقدم دعوة الله بأساليب ومداخل تحاورية بين الجماعات والأمم لتمكن دين الله تعالى في الأرض وتتمم مكارم الأخلاق بينهم.

٣- الحوار له عدة صور كما ذكرنا سلفا، تعطي صور جميلة لروعة الحوارات القرآنية ومرونتها وما فيها من لمسات ربانية يعجز الإنسان عن الإتيان بها. فهو بليغ التراكيب فصيح الألفاظ بين المعاني، له جمال وقعها في السمع، يتأثر به العربي والأعجمي. من يعرف العربية ومن لا يعرفها.

اما أهم النتائج واجملها فيما يلي :

أولا: إن الذات والذات الأخرى لهما علاقة يكون أحد أساسياتها الحوار الذي يربط بينهما، فالحوار مولده النطق، والنطق لا يظهر إلا في الحوار، والحوار أساسه الذات ولا يظهر إلا مع الآخر، فالعامل المشترك بين الذات والأخرى هو الحوار.

ثانيا: الحوار يستمد خصائصه من الشريعة الإسلامية التي تنظم أسس الفكر ومعايير الأخلاق.

ثالثا: الحوار القرآني هو الصور الجمالية التي تبرز الأساليب الحوارية

فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعدما بُيِّن لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الله العظيم، فقل لهم: قد أنذرتكم عذابًا يستأصلكم مثل عذاب عاد وثمود حين كفروا بربهم وعصوا رسله.

١٢. الحوار الأخوي الودي بين الرسول صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام :

قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (١٠٠).

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا عبد الملك بن عمرو، قال: ثنا عمر بن ذرّ، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل: مَا يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنا أكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟ فنزلت «وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأمْرِ رَبِّكَ»(١٠١).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله«وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأمْرِ رَبِّكَ» إلى«وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» قال: احتبس جبرائيل عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن، فأتاه جبرائيل فقال: يا محمد«وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا»(١٠٢).

• الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد أن قدمت شرحا مختصرا عن الحوار وصوره وذلك من خلال كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقبل أن أسجل أهم النتائج التي توصل إليها البحث أود أن أقرر ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾(٩٦).

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾(٩٧).

ويا قوم اطلبوا مغفرة الله والإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النِّعم عليكم، ولا تُعرضوا عما دعوتكم إليه مصرِّين على إجرامكم.

١١. الحوار الترهيبي:

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩٨).

أيظن أهل القرى أنهم في منجاة ومأمن من عذاب الله، أن يأتيهم ليلا وهم نائمون؟ أوَأمن أهل القرى أن يأتيهم عذاب الله وقت الضحى، وهم غافلون متشاغلون بأمور دنياهم؟ وخصَّ الله هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يكون أغفَل ما يكون فيهما، فمجيء العذاب فيهما أفظع وأشد، أفأمن أهل القرى المكذبة مكْرَ الله وإمهاله لهم؛ استدراجًا لهم بما أنعم عليهم في دنياهم عقوبة لمكرهم؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون.

وفي صورة أخرى: -

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(٩٩).

٨. الحوار العلاجي :

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(٩٣).

ولقد نعلم بانقباض صدرك -أيها الرسول- بسبب ما يقوله المشركون فيك وفي دعوتك. فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وهذا هو العلاج لضيق الصدر فسبِّح بحمده شاكرًا له مثنيا عليه، وكن من المصلِّين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أهمَّك.

٩. الحوار النفسي والوجداني :

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٩٤).

وإذا سألك -أيها النبي- عبادي عني فقل لهم: إني قريب منهم، أُجيب دعوة الداعي إذا دعاني، فليطيعوني فيما أمرتهم به ونهيتهم عنه، وليؤمنوا بي، لعلهم يهتدون إلى مصالح دينهم ودنياهم. وفي هذه الآية إخبار منه سبحانه عن قربه من عباده، القرب اللائق بجلاله.

١٠. الحوار الترغيبي:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٩٥).

ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه، ولكنهم كذَّبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم.

ونلاحظ في الحوار غير المباشرة الرحمة والفضل ليكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب الفضل ، فكان الحوار غير المباشرة من الله سبحانه وتعالى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم.

يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبِلْنَ أمتعكنّ بشيء مما عندي من الدنيا، وأفارقكنّ دون ضرر أو إيذاء.

وإن كنتن تردْنَ رضا الله ورضا رسوله، وما أعدَّ الله لكُنَّ في الدار الآخرة، فاصبرْنَ على ما أنتُنَّ عليه، وأطعن الله ورسوله، فإن الله أعد للمحسنات منكنَّ ثوابًا عظيمًا، وقد اخترن الله ورسوله، وما أعدَّ الله لهن في الدار الآخرة.

٧. الحوار الوعظي :

يقول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٩٢).

هذا البخل واختيار الرديء للصدقة من الشيطان الذي يخوفكم الفقر، ويغريكم بالبخل، ويأمركم بالمعاصي ومخالفة الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يعدكم على إنفاقكم غفرانًا لذنوبكم ورزقا واسعا. والله واسع الفضل، عليم بالأعمال والنيّات.

(٤٨) سورة الأعراف: ٤٣.
(٤٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ص ٢٨٩، مؤسسة الرسالة.
(٥٠) سورة الأعراف: ٤٤.
(٥١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ص ٢٨٩، مؤسسة الرسالة.
(٥٢) سورة النساء: ١١٤.
(٥٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ص ٤١١ ج ٢ – دار طيبة لنشر – السعودية
(٥٤) سنن الترمذي برقم (٢٤١٢) وسنن ابن ماجه برقم (٣٩٧٤) ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٤) من طريق محمد بن يزيد بن خنيس بنحو سياق ابن مردويه.
(٥٥) سورة نوح: ٨، ٩.
(٥٦) الشيخ محمد الصابوني – صفوة التفاسير (١٩ | ٤٢).
(٥٧) تفسير الوسيط – محمد سيد طنطاوي – موقع التفاسير ص ٤٣٢٩ ج١.
(٥٨) سورة النمل: ١٩.
(٥٩) تفسير الشعراوي، ص ٣٣١٢.
(٦٠) سورة النحل: ١٢٥.
(٦١) سورة العنكبوت٤٦.
(٦٢) تفسير القطان ص ٧٢ ج ٣.
(٦٣) سورة البقرة: ٨٧، ٨٨.
(٦٤) آل عمران: ٢٠.
(٦٥) سورة الشورى: ١٥، ١٦.
(٦٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ص ٧٥٦ مؤسسة الرسالة.
(٦٧) أبو عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية المصري . سلسلة التفسير ج ١ ص ١١.
(٦٨) سورة الكهف : من ٣٢-٤٣.
(٦٩) تفسير القطان ج ٢ ص ٣٧٤.
(٧٠) سورة الفرقان: ٧، ٨.
(٧١) سورة الأنعام: ٧-٩.
(٧٢) محمد أحمد العدوى، دعوة الرسل إلى الله تعالى ، ص ٣٧٩ ، طبعة ١٩٣٥، مصر
(٧٣) سورة الأنعام: ٨.
(٧٤) الانفال : ٣٣.
(٧٥) سورة الأنعام: ٩.

(٧٦) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط ،ص ١٤٣٣ ج ١.
(٧٧) سورة آل عمران: ٧٠، ٧١.
(٧٨)جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري،أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ٥٣د مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
(٧٩) سيد قطب في ظلال القرآن ج ٧ ص ٢٨٤
(٨٠) سورة البقرة: ٢٥٨-٢٦٠.
(٨١) عبد الرحمن النحلاوي، من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار ص ٦٣.
(٨٢) فؤاد العمر، الأنس الجليل في قصة سيدنا موسى وفرعون وبني إسرائيل ص٧ مكتبة المنار – الكويت.
(٨٣) سورة يوسف: ١٠٠.
(٨٤) سورة المائدة: ٢٧-٣١.
(٨٥) سورة الكهف: ٦٠-٨٢.
(٨٦) سورة التوبة: ٢٥، ٢٦.
(٨٧) سورة لقمان: ١٣- ١٩.
(٨٨) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ح١١ ص١٩٢.
(٨٩) سورة الأحزاب: ٣٠.
(٩٠) سورة الأحزاب: ٣٣.
(٩١) سورة الأحزاب: ٢٨، ٢٩.
(٩٢) سورة البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩.
(٩٣) سورة الحجر:٩٧- ٩٩.
(٩٤) سورة البقرة: ١٨٦.
(٩٥) سورة الأعراف: ٩٦.
(٩٦) سورة هود: ٥٢.
(٩٧) سورة نوح:١٠-١٢.
(٩٨) سورة الأعراف:٩٧- ٩٩.
(٩٩) سورة فصلت ١٣.
(١٠٠) سورة مريم: ٦٤.
(١٠١) أخرجه البخاري (٣٢١٨، ٤٧٣١، ٧٤٥٥) وأحمد (٣/ ٤٨١) والترمذي (٣١٥٨) والنسائي في الكبرى (١١٣١٩).
(١٠٢)أخرجه البخاري برواية أخرى.

● أهم المراجع

- تفسير القرطبي.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار طيبة لنشر – السعودية.
- تفسير الطبري.
- تفسير في ظلال القرآن سيد قطب.
- صفوة التفاسير: الشيخ محمد الصابوني.
- تفسير الشعراوي.
- التفسير الوسيط : محمد سيد طنطاوي.
- تفسير القطان.
- مجموعة رسائل الإمام: الشهيد الشيخ حسن البنا، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر – بيروت.
- دعوة الرسل إلى الله تعالى: محمد أحمد العدوى، ٣٧٩، طبعة ١٩٣٥، مصر.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، مؤسسة الرسالة.
- الخصائص العامة للإسلام : يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة – القاهرة- الطبعة الرابعة -١٩٨٩
- لسان العرب: ابن منظور.
- المعجم الوسيط: تأليف مجموعة من العلماء.

- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار: عبدالرحمن النحلاوي.
- سلسلة التفسير : أبو عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية المصري.
- الأنس الجليل في قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل: فؤاد العمر، مكتبة المنار – الكويت
- الحوار وفن تكوين العلاقات مع الآخرين في ضوء الكتاب والسنة: د. عماد النهاية، الكويت.

* * *